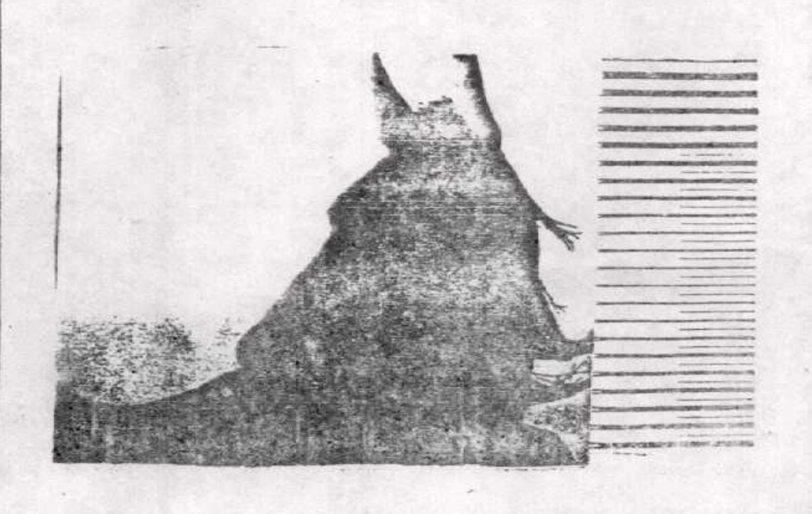
أصوات معاصرة

العدد ٣٠ ـ أبريل ١٩٩٦م

الرحيل على جواد النار



شعر : د. حسين على محمد

الرحيل على جواد النار

شعر
حسين على محمد

أصوات معاصرة

أسسها :
د. حسين على محمد
أبريل ١٩٨٠

الطبعة الثانية
أبريل ١٩٩٦

الرحيل على جواد النار

شعر

حسين على محمد

مفتتح

هرب صديقي «يوحنا» للبرية

وجد الدفء الأخضر في صلوات الفقراء .

نهيق الحُمُر .

ثغاء شياه الأعراب ،

هدير الأردنّ ،

هربت إلى ذاتي كي أستخرج كنزاً

وقف صديقي

(السور يبعثر ذرات الطمْي على الثوب

يغازل نهرَ الأردنّ

ويُلقي بالطَّمْي إلى الشطِّ

ويخرج عينيه من القاع
ويحمل أصدافاً فارغة
يبشرني بالمنّ وبالسلوى
وبهالة فرح جذلى)
هذى لؤلؤة تلمع فى ثوب صديقى
والزوجة تلهو ، وترصُّ الأكوابَ
على المائدةِ السُّكْرى .
قدّام البحر جلست على الكرسىِّ المنقوش
وصوتُ الطُّهْر يدمدم فى أعماق
الرحلةُ كانت بحثاً عن أقمار غابت
(هل أصرخ ؟ هل أكشف عن أعماق ؟)
فى هذى اللحظة لن يتبرّع أحدُ الصحبِ
ببعض الرزق المسروق
ويكتبُ نعياً ، ويغطّى جسدى
هذى جوقات القناصة .

وأظافرها في جسدي تقضمه

وتحاول أن تعرف ما خبّأت بصدري

أيتها الأصوات الملعونة

إني أحمل قشرة حزني فوق الرأس ولا أخفي شيئا

فلماذا تتسربين إلى الداخل ؟

أجزائي تتناثر فوق الشاطئ قطعاً

وكلابُ الشاطئ تأكلُ لحمي

والصِّبْيَة فوق الرَّمل يدوسون اللحمَ

ويجرّون وراء صبيّات شقراوات

جاءت أمّي ...

أحسستْ برائحة البعث

ولمّا غسلتْ قِطعَ اللحم بماء الوجْدِ

وقرأتْ بعض تعاويذِ الوصْلِ ....

تبرعَم هذا الجسدُ الميّتُ

ووقفتُ

ارتفعتْ تلك القامةُ ...

حتى عانقتُ الشمسَ

٤

وإنّي لاأخشى أحداً منكمْ

لا أخشى هذا الجمْعَ الصّاخبَ

لكنْ..

يحْدُثُ أن أهرب من هذى الضوضاء

إلى داخلِ نفسي

١٩٧٨/١٢/١٧

من ذاكرة الرجل الأجوف

١

أنـــا... ؟

لـم تكـن لى سوى حـربة

وسيف بليـــدْ

وكنتُ أحاول إقناعهـمْ أنّ شمس الغـرابـةِ

سوف تظلّلُ هـذا الزمـانَ الكئيـبْ

تنادَوْا اقتلى،

وكانت معـى زوجتى...

فخـافتْ وقـالـتْ.

أمـا قلْـتَ من زمـن موغـل فى العـذاب

بـأنَّ السَّحابْ

سيومضُ برقـا وأنـت بعيـد

وحيـن تجـىء

ستُغْلـقُ صفحـةُ هـذا الكتـابْ ؟

٢

لقـد كان فى يدهـا بلبلانْ .

ولِلّيْـل غـدرٌ

ورغـبٌ جبـانْ

تقـدَّمَ منِّـى الوسيمُ الرَّفيـع

ببسمـةِ حـبٍّ

وتحـت الثيـاب

لمحـتُ السِّنـانْ

٣

وقـال : تكلَّـمْ

فقلـتُ : أحـاوِرُكـم عـن زمـان جـديد

أراهـا البـلادَ تفـور

وتخلـعُ عـن جلدهـا قشرة الحـزن

واللـيـلُ يرحـل

والنخل يـرقـص

والنيل يعطـي

فقالـوا : لأنـت الـذى قـد صبـأْتْ !

فقلـت : تعـالوْا أحدِّثكـم عـن زمـان يجـئ

ستشرقُ أرضُ الكنانـهْ

ويحمـلُ فرعوْن سهمـا

ويغرسه فى قلوب الغـزاةِ

تعـالوْا ، فـإنّى أرى الشمس تشرق خلف الـغُيـار

وتفـرحُ طيبـه

وإنّـى أراكم تجيئون وردا وعطـرا

وطلقـة نـار

فصاح الجميعُ : جنونٌ جـديـد

ويأتدمُ الشِّعرَ في صحوِهِ
سنجعلهُ في الشّعيرْ

*

تقدَّمتُ في خطوة الواثق
وذاب الجليد

*

تحشّدت صدري
تحشّدت دربي
ويشرق وجهُ رفيقة قلبي
لقد كان في يدها بلبلانْ

١٩٧٧/١١/٢

العودة الى مكة

١

ترحل كلُّ خيولي
راكضةً نحو النُّهر
ترحلُ عبر حقول القيظ
تحملُ في الذّاكرة الشمعيةِ بعض رؤًى خضراء
تحلمُ ، والشفق الأحمرُ يصفعني
وسؤالٌ في الأعماق يؤرّقني
هل أصل إلى النبع صباحاً
مع أوّل ضوء
أم أصل وقد ماتت أضواء نهاري

صوت مجهول يتردّد فى الأنحاء

(هل هذا صوت غناء ؟)

ونجومى تُطفأ خوفاً .. هلعاً

وأنا مُستاءْ

٢

نحن عراةٌ فى جنبات الوادى المخصب

قد نحلم بالثوب الأبيض

قد نحلم بالدفء

لكنّا ..

يجهضنا البَردُ السارى فى الشريان

وأنا ، أركض ، أحلم بالنبع

(هل أصل وقد أضنانى السّهرُ..

.. وأعيانى الحرمان ؟)

٣

ترحلُ كلُّ خيولى

نحو أراضٍ لم يطرقها رجلٌ من قبل

وحبيبةُ روحى تهتف

« هل ألقاك ؟ وكيف ؟ »

وأنا أحلم بالنبع

(نهراً عسليا ينساب مع اللمسات الأولى)

لكنْ . .

ما أقسى هذا الصخر

وما أبعد ماء النهر !

٤

وصلت كلُّ خيولى

عيناى معلقتان على فمك الفيروزىّ

يمكننى الآن

أن أحلم بالفاكهة الصيفية فى نيسان

عـادت كـلُّ خيـــولي

رُويـــت من مـــاء النهـــر

عـادت تركض عبـر أراضٍ بكْـر

لـم يطمثْهـا رجـلٌ من قبـل

والعصفـور على نافـذة الليل يغنّـي

ينتظـــر الفجـر

١٩٧٨/٤/٧

ملامح وجه ميت

١ ـ توطئة :

كنا نجلس فى واجهة المقهى

نتطلّع

نتحدّث

يتفحّص كلٌ منّا ذاته

وأخيراً

صافحنى وجهُه

أخجلنى

فلقد فارقنى من عشرين سنة

أرسل لى أكثر من مرّة

لكنــى

كنت أغلّــف نفســى فى شــرنقــــــة

كــيْ أبعــدهــا عــن ثــرثــرة الخـــلاَّنْ

*

٢ ـ ثرثرة مقتضبة :

ـ أهـــــلاً

ـ كنــت أحــدِّث نفسى عنــك . وأحلــم

صــدّقنى

بالأمس حلمـــــت

إنك جئــت إلىّ

وحكيــت صباحــاً للنّــادل

مــا أبصــرت بحلمـــى

ضحــك وقـــال :

سيِّــدى الفــاضل

يبــدو أنك أصبحــت نبيّـــاً

فأخيراً

كثُرت أحلامُك

والشيءُ المزعج

أن يتحقّق أكثرها في اليوم التالي

*

٣ ـ مما قاله :

ـ لا تسألني عن أحلام الماضي

شاخت في نفسي

لا تنبش قبري

فالجثةُ صارتْ عفِنةْ

*

ـ أعملُ في مصنعْ

للأدوات العصرية

أمكن في عاشر طابق

أصعدها يوميا

سُلَّمتين

سُلَّمتين

*

٤ ـ صفحات من مذكراته خلال عشرين سنة :

ـ لن يجئ الصبح إلاّ بالدماء

فاستعدُّوا يا رفاق

للفداء

(١٩٥٢)

*

قرأت بيتا أعجبني

وللحرية الحمراء بابٌ

بكل يد مضرَّجة يُدقُّ

(١٩٥٦)

*

الأفضل

أن تأكل مع أولادك لقمة

في جوٍّ هادىء

وبعيداً عن أدغال الساسة

(١٩٦١)

*

- النار اشتعلت في جرن القمح

زوجي تصرخُ :

- كيف سأطعم أولادي ؟ !

كُفِّي يازوجي عن هذا القول

لا تضعي فوق الجرح الملح

(١٩٦٧)

*

- وجهك يا سميَّة

يا طفلتي البريئة الحييَّة

يشعُ   بالنقـــــاء

يشعُّ بالصفـــاء

ينشلنـــــى

من   وحـــــدتى   الأَبـــديَّة

(١٩٧٠)

١٩٧٢/١/٥

الرحيل على جواد النار

« من مكابدات عبد الله بن الزبير »

١ ـ خطوة أولى :

رحت أسير على الشط أمارس عشقي ،

أسمع همهمة البحر

وزقزقة الطير .

وأرقب حركات الناس .

فأبصرت النوريس يضرب بجناحيه البحر ـ

فقلت : تعال إليّ وخذني !

أومأ بالظل الأزرق

وبعينين تفيضان حنانا . مال ، تبسّم ..

أقلع .. وابتعدت أجنحة الزورق

عن ظلٍّ يغرق في اللجّةِ ،
كنتُ أخطّطُ تخطيطات قزحيّة

٤

عاصفة تراب في حلقي :
تقتلُ فيَّ ربيب الأمل
ونفسحُ طرق الخوف أمامي ،
تدفعني أن أركع قدّام الوهم .
أبشّرُ ببزوغ الألم المتعاظم
في قريتنا الخرساء ؛
وأسجد للاصنام الشمعيّة

عادت خطواتي مع عصر اليوم إلى أسْر الحجرة
وجلست أمارس عشقي .
وأمارس حقّي في الرغبة .
أبصرت النورس يهبط فوق الشباك ،

وخلف الشبّاك الرّعبُ ،

وقدّام الشبّاك الأطفال يجولون الطرقاتِ ،

فأومات إلى النورس أن أقبل

طار النورس وهو يغمغمُ :

« خلف السور تظل تمارس عشقا وهميًا ؟

والبرق العاصف يقذفنى بالأحجار

ويبعدنى عن نافذتك فى وحشيَّة »

٢ ـ لحظة كشف :

فى لحظات الكشف الخصبة :

أهرع للأبيات وأرسم « مكة »

خيطا أبيض يفصلُ بين الظلمة ، والظلمة

أرسم عينيها واسعتين تفيضان شبابا ،

تغمرنى بعطاء الخصب.

ألمح فى الزاوية العليا نجما
يرسل لى حبل الود ، فأصعد
للسموات العليا
وأراها تتكئ على خلجان الجزر النجمية
أرجع فى منتصف الليل أراها قدامى ،
نمضى عصفورين إلى طرق الفجر
يقولُ الجمعُ : دعوهُ ،
فهذا مجنونٌ يرسمُ أفكاراً ويجسّمها
يبعث فيها النبض ويحسبها أجساما .
يرقب برقا يمطره فى زمن الجدب

هذى أفواج الناس
(لماذا أعينهم مغلقةٌ من حزنٍ ؟)
(عن زمن الحب ؟)
وإنى أبحث عن برق سوف يجيئ

وسوف تزخر الخلجان

وسوف يجئ الخصب

وتخضر جبالٌ قاحلةٌ

سوف يجئ الزمن المشرق بالفرحة ،

يامكة ، ياشجر الحب . تعالىْ

قولى آيات الوصل

فإن الأطفال يغنّون

(وقفت أحملق فى الناس كثيراً

مرّوا لم ينتبهوا

لم يحضر بعد الغائب

هل يأتينى صبحا

يحمل برد الراحة فى طيات الثوب ؟)

وأتيت إليك صباحاً يامكة ،

هل تلقينى بضراعاتى فى القيظِ ؟

فإني أبصر أحزاني تخرج من خندقها ،
ترفع رايات الثورة والعصيان
إليكِ أمدّ يدىّ . . .
فهيّا انتزعى الخنجر من قلبى
(هل يُطفأُ فى الليل النجمُ
وهذى يدك البيضاء ؟)
لعلى أنظر موسم خصبى ،
أعرف أن حياتى تثمرُ .
أنّى أحيا للحبْ

يا مكة ، جئت إليكِ ،
وهذا الشوق يزمجر بين ضلوعى ،
أخطو فوق الطرق الوعرةِ ،
هل تدمينى أحلامُ الحرف الأخضر

هل يجيبني صوت الغضب - الثورة
أم تردينى طرقُ الرُّعب ؟

٩

هذى أنت تسيرين أمام الجمع ،
تجوبين الصحراء :
وإنى أرقب حلماً مجنوناً
(.. فأضمُّ الشمس براحة كفّى)
سقطت أعلام الحكمة فى وهج الغضب الحارق
والأصحاب ابتعدوا
شمسك غامت يامكة
ماذا أفعل ؟
لا أسمع غير صدى خطواتى فى الصحراء ،
. . ودقات القلب !
لم يبق لعينى غير الدمع
وصرت وحيداً خلف الجمع

ظَـلَّ يخاصر مكة ، قـدام النـاس ويصـرخ :

« أنتِ عروسي »

يا قمـري الناصع غبـت سنين عـن القلـب

تعـودين الآن ، فتمتـلئ الـدنيـا بالبهجة ،

يشتعـل الجسد الفـارغ ،

ظـل يراقصهـا ،

ويلامس نهـديها ،

فيسيـل اللبـنُ ، ويشـرب كـلُّ النـاس ،

وينفـر شعـر الفـرس الأبيض

يركـب متن الريــح :

ويدخـل مملكـة الحـرفِ ،

ويحفر كلمات العشقِ – على جسد العاشقة المشوقةِ ،

(كـان الوجـه الطيب يتلـو آيـات النصر

ويعـرف أفـراحَك يامكة ، والأتـراح

وكانت عيناك تقولان كلاماً

محفوراً

فى أفئدة العشاق

كان الزّغبُ الأبيض فوق الشفتين

وكان البطنُ يراودهُ الحلمُ

(وإنّى أدخل مملكة الحرفِ ،

أدحرج حلمى فى طرق الدهشةِ ،

قالوا : صوت العاشق فظّ.

كيف تنمّق كلماتِك ياعبدَ الله ..

لتلقيها فى أذن الضاحكة الصاهلةِ ،

ومحبوبتك الليلة تلتصق بصدرك «ياعبدالله»

وصدرُك هل ينخره السُّوسُ

القادمُ فى الليلِ...

فهل تعتصرُ الصدر المانح

أم تتركهـا دون الفجـر..

تدحـرجُ أحـلام النشوةِ

فى الخطِّ الفـاصلِ ...

بين الليـل ،

وغبشِ الصبح .

وهمهمـة الأوراقْ ؟)

٤ ـ مشاهد الأعراف :

ـ هـذا سيف بتارٌ يهزأ بالموتِ ،

ويضـرب أعناق الكفّـار .

ويصـرخ فى الأحيـاء :

ـ فلنستبسلْ فعِـدانـا كُثـرٌ ،

لكنّـا يغبطنا التاريـخُ ،

لأنّـا من أحباب اللهِ الفقـراء

ـ نقف على قـارعة الفجـر .

ونستشرف شمس الغدِ ،

لم نعبأ بالأرزاء .

*

- أحمل قلباً أبيض ،

لم يحمل غير الحبِّ ،

على كفٍّ مقتدرة

- أهتف من أعماق القلبِ ، الظامئ للحب

إليك نسيرُ ،

لا نرغبُ إلاّ فى وجهك ياربُّ ،

فقوٍّ عزيمة أصحابى

واجعلْ راية جمع الفقراء..

هى الجائحة ، هى المنتصرة.

- يا أحباب اللهِ تعالوْا : قولوا

هل ضلّت خطوات الأحباب نهاراً ؟

أم جبنت كـلُّ خيول الصحراء، وخار العزمُ
وسقطتْ تحت سنابك خيل الليل جبـاهُ البـررة؟

*

٥ - خطى متسربلة بالدم :

أبنائى يـا أحباب اللـه،
ويا أصحاب الكلمات الصـادقـةِ المعطـاء ،
تجـودون ، وتعطون الـدنيـا
مما أعطـاكم خالقُ هـذا الكـون
فـأغبطكم صبحـاً وعشيــا
أعطيكم قلبـى ،
أغنيـةً خضـراء الأحرف ،
تحميكم من صـولات القتـل،
المتسربل بالليـل

*

أبنائى ، ياأقمـار الدنيا فى ليـل الأنـواء

صبرتم

جاهدتم

قلتم كلمة حق فى وجه الحجّاج ،

وقفتم

ثابرتم

مازلت أناديكم يا أحباب الفجر الآتى

أبنائى :

من يحمل راية حزب الله القادر لاييأس

من نصر اللهِ القادم ،

فاللهُ الأكبرُ فى صفّ الفقراء بجانبهم

يقف يحارب معهمْ :

صبراً يا أبنائى..

هذا وقتُ البذلْ

١٩٨٠/١٠/٢٩

الخروج من الجنة
أو
من تحولات أبى حيان التوحيدى

مرسومٌ فى واجهة الحانة وجهُك ،
فوق زجاج الأبواب القزحيّةِ ،
ينصو فوق الأحلام القشّ
ويرحلُ عبر تخوم القيظ .
يداعبُ تلك الرغباتِ المكبوتة فى القلب
يسافرُ للقمم العليا .
والأحلامُ أراها فى دائرة الخوف المطبق
(هل تسقط فوق الأسفلتِ .
وتصهرها شمسُ الصيفِ القائظة

الخانقـةْ فـسأصـرخ :

إنّـي أجهلـك

ولا أعـرفُـك

وأبعـدُ وجهـي عنـك

ولكنّى لا أبصـرُ فى الطـرقِ الأُخرى

غيـر الوجـه المذعـورِ المرتعـدِ القسمات

يبحلـقُ فى الوجـه المرسوم على واجهة الحانات

وفى الأيـدى المرتعشـةِ..

والخـائفةِ

المتواقـة صوتاً لسلاّتِ

*

فى هـذا الزمن الوغد أقاسى حبّـك وأعـانى

أشـربُ نخـب الكلمـات المفترسةِ .

صـوتُك يلهبنـى :

أخلـعُ من عينيـك طيـور الـوهـم

فأشجارُ الأحلام تجفُّ بأرض الغربةِ .

: « سافِرْ للأرض المجهولةِ والدُّنيا الطفلةِ »

وأنا رأسى مقلوبٌ .

وعلاماتُ طريقى أنكرها ..

أبكى .. أبكى ..

أخرج من دائرة بكائى

أحملُ جرحا لاتحمله المدنُ ؛

وفى عينىَّ دموعٌ متحجّرةٌ

لكأنَّ « ميدوزا » نظرتنى .

أىْ أصحابى :

مازلتم تمشون .

وتحسون الشاى ؛

وتُلقون نكاتكم الفجّة .

وأنا حجرٌ مُلقىً فى طرقات اليأس وحيداً

(هل أخبركم أن الأطلال ستبقى أطلالا؟

لـن تحمـلَ ومض شرارٍ من ذكرى الأيام الأولى

هل أخبركم أنّ الحجـر الملقى في الطرقات قديما

كـان صبيا ،

رجـــلاً ،

شيخــاً ،

يبصـــــر ،

يمشـــى ،

يسمـــع ،

لكـن لـم يتكلّـمْ . . .

فتحـوّل حجـراً مسخـاً !)

*

سأسافـرُ .

قـد أرجـع في الصبح إليكمْ .

قـد يندمل الجرحُ ،

ولكنـيّ أعـرف أني لـن أرجـع ليـلاً مأسوراً

فى موكب أعدائى ،

والحبيبة تطفىءُ مصباحى

أو أحملُ حزنى وجراحى

لن يضحك صحبى منّى حين أعود.

فعمرى لم أنفقه هباء ،

وسيوفى مشرعة للريح

ولم تحصد وهماً

*

– هأنذا بعد رحيل الأعوام

وراء سرابٍ خدّاع .

أرجعُ ، فى يدىَ الأغلالُ.

وأعينكم تبسمُ فى بلهٍ أحمق

(خيلك عاثت فى الأرض فسادا

بعت الحُلمَ ، وأنسيت السيف الصادق

واخترم الرُّمحَ الجسدَ ،

وأنساك الخوفُ الدمويُّ سيوفـاً

*

- دقت أجراسُ الأوْبةِ
(فـرّت نجماتى هاربة
سقطتْ راياتُ صمودى .
تحت خُطى حُمقى
غابت فرحة عيدى ،
مات النبض بأعراقى ،
جذّت كلُّ حروف الأمل النابت فى صدرى)

*

- كمْ أرحلُ فيك أيا مدن السفر الدائم ،
فى النَّرْدِ وفى أنفاس الشيشة
قلتُ لصحبى :
قد خابتْ رحْلاتى من قبلُ .

وإنى سأسافر هذى المرةِ للقدس .،

أخاصرُ حُلْمى ،

وسيجرى خبْلى الطائرُ نحو الفردوْسِ ،

يفرُّ ويبعدُ عن وطأةِ هذا الزمن القاسى

*

ـ أرجعُ مكسوراً وجريحاً

(قد يكفى أن أمتصّ جراحى

لكنىّ أخرجُ من جنّتك

فأعرفُ أنّى خنتُك فى أولى لحظات الكشفِ

فسالت قنوات دمائى

ترسم غيمات زرقاء

على وجه القمر الشاحب

١٩٧٧/١١/٢٢

الغريب

قلبى تمـزّق فى العـــــراء

الصمت يذبحـه ، وأصحـابى يَغُـذّون المسير

شلـواً فشلواً كنت أهـــوى

والدمـاء . .

تطفـو على الوجـه الحـــزينْ

قمـراً غـريباً ، كنتُ أهوى فى المساء

•

الصوت يهتف : كيف ترتعـد الشموسْ

وأنا أشيح بوجهـىَ المكـــدود

فى عينـىَ أهـوالٌ وآفاق من الرُّعـب الكئيـبْ

(النور ياأمّي يغيب)

والنفسُ تصرخُ

(هل سيأتيني الخصيب ؟)

- ماذا تقول ؟

وعرفتُ أني في أفول

والنيل محزوناً يغمغم ، والحقول

جمعتْ بقايا حزنها

خوفاً ، فقد هبط الغريب

١٩٨١/٨/٣٠

مشهد العودة الى «علوان»

« الى عمر : فوزى العنتيل »

– يتلاقى الأطفال وفى العينين عـوالم لا تدرك .

تمتد سماء لا حدَّ لها . والماء العاصف يتدفق

يتلاقى الأطفال ، يصيحون ، ويبنون بيوت الرمل ،

وأصداف الشاطئ لامعة ، يجرون إلى النهر ، ويبتسمون

(أرانى أرجع ثانيةً طفلاً غرداً ، فيكِ أغنى ياأزهــرة

أيامى الخضراء . وأنطلق من الحزن ، وأخرجُ من

سرداب النار) فتختلط الكلمات المقهورة يتحشرج

صوت ممرورٌ ، تنحسرُ الأمواجُ عن الشاطئ (أنسى

ترنيماتك ، أتغّيو بين الهزّة والهزّة ، أصبح إنساناً

– علوان : قرية الشاعر الراحل ، فى محافظة « اسيوط » .

آخر . أيتها الريح متى يأذن لى خازنك الأسمر بدخول عوالمك الوحشيّة ؟)

– (مرّت أربعة فصول . وأنا قدّام السور أغنّى لعبير الأرض ، ضمير الحقل ، أقول حكاياتى للّيل وللانواء وللشمس الصاعدة على الأشلاء ، وأهتفُ : بينى والمحبوبة ليلٌ يتمطّى ، يعصر من غضبى نخباً يشربه العشاقُ المنتظرون على بابك يا « عاوانُ ») إلى الأرض يعود العشاق ، وأنت تظلُّ غريباً فى مدن الثلج . وتسقى بالدمع الأحمر حقل الأجداد ، وترقبُ فجراً يسعدُ فيه الفقراءُ (فهل أرجع يا محبوبة قلبى كى، نقتلع شجيرات الحزن من القلب ، ونبذر أفراح الميلاد ، وننسى أيام الغربة والثرثرة الليليّة ؟)

• حين انبثق الصبح رأيت العينين عصافير تغرّدْ يصحو الحقل على دقات الفأس ، وتحت خمائل هذا النهر أراك حبيبة قلبى ثوب البهجةِ فوق الأرض

الخضراء (وإنى كنتُ الفارسَ ، كنتُ الأوّل فى
الكرّ .. ولكنّى فى مدن الثلج نزفت رحيق العمر . .
وهأنذا أنزل عن فرسى .. أبتعد ولا أنساكِ فأين
الطرق المفضية إليك؟) الأطفالُ يصيحون ، ويرتعدون
فقد غرقت كلُّ زوارقهم ، والموجُ العابثُ يضحك
فى همجيّة .

١٩٨١/٨/١١

دمعتان

« الى الشاعر الراحل الكبير : صلاح عبد الصبور »

ـ الزَّبدُ الأَبيضُ فى الثالثة صباحايقتحم الغرفة ،
يتساقط حائطها الطينىُّ ، أمام الباب وقفتُ كسيراً
ينتظر الجمعُ صلاحاً « هيا معنا » .ـ والليل يغطيهم
بعباءته السوداء . وعينا "زهران » تبحلق فى الظلمة
تسقيهم أكواب القهوة . وتطمئنهم بالكلمات ،
وهم ينطلقون على الرمل ، ويبكون . وقافلةالكلمات
الغضة والأحلام الرحبة تخرج . والبحر يغمغمُ بعيون
آملة .. « لاتندهشى يا « مىُّ » فعيناك كعصفورين
ابتلاَّ فى المطر ، وأحزانُك «أبصرها أو لا أبصرها »
تترقرق فى عينيك دموع ، وأطأطئ رأسى « دل

يدعونى الحزن الكاسر أن أتأهب لميعاد الرحلة . .
أتقرى أورادى ، أتزيا شاراتى ، وأجالس شيخى
« بسامَ الدّين » : الزمن ضنينٌ » أرحلُ فى أهداب
الغيم الصاخبِ . أنشر أشرعتى للرّيح والأنواء والنسرين
فألقى فى صفحتها نذر الريح ، نبوءات العرّافين .
تداخلنى اللحظة ، أتمطّى بالخوف الكاسر والحزن اللمّاح
وأرنو للدّاخل فى رثتى ّ الليلة ، والبحّارة يصطخبون
الملاحون . الفئران ، التذكارات ، المحبوسون لماذا
لا يأتينى بعد مكابدة الأعوام الشيخ الطيب بسامُ الدين
لماذا تتخلّى عنّى الذاكرةُ ...أرانى أمسك بعنان اللحظةِ ،
سيخى بسّام الدين يقول الليلة « دنيانا أجمل مما
تذكر .. فلماذا لا نبصر إلاّ الأنقاض السوداء » . .
وتنفجر الحلوةُ ، تعلو صرختُها غضباً وملالا

– زهران صديقى : فى دمك المهراق أسافر بالأحزان .
المسكوبة فى عمرى . حين أراك تحمحمُ :

قضى .. قضى

وعـن ديارنـا مضى ،

...

.. لـم تبق منه غير صورة عـلى الجـدار

وغصنُ صبار على الحِجـــار ،

*

« هنا إنسان

يريد يدير فى فكَّيه ألفاظا يدحـرجها

إلى الإنســـان

لتصنع نقمــة فى القلـب أو فـرحـا

تكون مجـنّ من جُرحـا

وسهماً فى خنا النفاسى الـذى جرَحا ،

ما فائدة الحرف ، ودنياكم غـول يشرب من دمنا

كـلّ نهار ، كل مساء ، دنيانـا حـدُّ السيفِ ،

ونحن الغنماتِ الهاربة من الذئب لتُلقَى في

أيدي جزّار . قافلةُ الزمن تسيرُ ، ودمىً ،

تعودُ مع الفجرِ . وتحلمُ بالشمس تظلّلُها في

الصيف القائظِ . وأنا أحلمُ بهدوءٍ يمتلكُ

عنانَ النفس . وأرجو أن أسكنها في صدري

تتحطمُ قضبانُ اللحظةِ ، صمتُ الموتِ.. وتبقى

كلماتى تتدحرج فوق الشفتين سؤالا

١٩٨١/٨/١٦

الأسوار

« قصيدة من محمد جبريل »

ينطلق السهم إلى القلب .

ويغضبُ منى صحبى إذ أصرخْ

تفزعهم خطواتى فى درب الفجر

وأنت تسورين.

وتبتعدين .

وترتعدين

...وخلف الفارس نتلو آيات الذكر ،

فقد فرّ من الميدان صباحاً

علّق نيشان الصبرِ ،

وأنت تموتين

وهذا الفارس يطلق فى الميدان النار
على الجمهور ،
فتملأ أشجار الحزن بوادينا
مدّ الظُّفر المسمومَ إلى جسد السوردة ،
والأطفال يمرون على الأسلاك
وورْدِ « الدّيناميتِ »
وزبَدِ الموتِ
(الشيخُ يقامرُ فى المسرح
ويعربدُ مع سيّدة فى حضن الدّلتا
والصوتُ الجبليُّ يطرّز أوجهنا
بالرغبةِ فى الصبح الآتى)
والنظرة من سيّدة المقهى
تشعل فى جنبينا النار .
وخادمُ (آمون) المرهق .
يسأل عن (هامان) ويذكر أهوال الحرّاس

توقّف هذا الزمن – الأفعى عن نسج الثوب – الرعبةِ
واشتعلت في القلب النارُ
(وقفت أراقبُ هذا العربيد
أيغرينا بالمِشْكِ
ويغرسُ في أعيننا شجر الوهم .
ويرقصُ فوق هشيم القشِّ
و . . .
– روما كيف احترقت ؟
– هل تذكرها ؟
– بونابرتُ يعانق حلماً سرّياً
هذى الأهرامات تحدثكم من آلاف خمس
فاستمعوا يا فتية شمس الغرب ملياً
لأحاديثِ الفرعون)
وأنتِ هناك تروغين
فهل يُغرسُ في دمنا شجرُ الخوفِ

هل تجرين إلى طرق الوهم
وتنبتُ أزهارُ الصَّبار
على شرفة قصر الشيطان تخوفنا ؟
والمهر الأشهب يصرخ في قاع النار :
لماذا الخوفُ يقربُني حينا
ويباعدُني أحيانا ؟
ـ ماذا أبصرُ ؟
ـ ماذا يقدر أن ينطق عاشقك الأخرس
لو صرخت كلُّ حناجرهم
وارتفع الخنجرُ في الوجه ،
وفوق الظهر الأسوارُ .
وهذا العبدُ الأسحمُ يرقصُ قدّام تماسيح النيل .
ويغريهم بالخصب الآتي في زمن الجدب
وصوتُك يملأ عينيَّ برعد يمطرُني في الزمن القفر ،
وتبتسمين وتبزغ شمسُك
قرصا منطفئا في بحر الدم

١٩٧٨/١٢/١٩

الصوت الأخضر فى غابات القيظ

« الى الصديق الدكتور على عشرى زايد »

صوتك يأسرنى

يأخذنى من عبق الموت .

ويبعدنى عن لحظة كدر

تمتدُّ بعرض الساعات - الأيام - الأشهر

قل لى : أين ذهبت ؟

لماذا غابت كلماتُك - نهرُ الحبِّ المدافق عنى ؟

إنى أغرقُ فى اللحظات السود

ولا أجدُ القشَّة

هل تُعطينى لحظة ضوء مُشبعة بالودِّ الأخضر ؟

هل تُبعدُنى عن نفسى ؟

*

آكـل نفسى فى كـلّ صباح.

أبصـرُ فى الحجـرةِ أذرع تنّين ضخـم ،

تخنقنـى :

تكبـر بقـعُ الخـوفِ،

وينتصبُ الحـزنُ ملاحاً يمتدُّ على الرقبةِ ،

لا أجـرى .. أقبع داخـلَ نفسى ،

تمتدُّ الأيـدى للقـرآنِ ، وتنهـلُ .

أتوضّـا ؛

وأصـلّى .

وأغيب . وأنسى نفسى فى سجـدةِ وصلى ،

أدعـو ربّـى :

« قـد ضـاق الصـدرُ ،

وقـد غـاب النـورُ .

تعـاليْـتَ

امنحنى صدراً يسع الكون ولا يختنق ،

وامنحنى بحراً يؤنسنى

وامنحنى صوتا يأسرنى من ربقة حزنى

ـ قد أعطيتك

.. لكنّى لا أجد القمر ، فأين ذهبت

لماذا غاب الصوتُ الأخضرُ عن غابات القيظ.؟

١٩٨٠/٩/١٦

١ - الرحلة القديمة الى عيون الليل :

عمـلُ الليـل مـريـحٌ ،
فـاترك أرض الـريـفِ ،
ففـي غـدك المزهر ترحـل للأرض الموعـودةِ .
ولتصحُ مع الفجـر ،
لتركـب أوّل حـافلـة
للقـاهرةِ - الحـالمةِ - الرحبـةِ
ولتضع الوردة فى عـروة صـدرك
إيقـاع الخطـو يمثّل قفـزات .
والحـركة فى قـاع الصمت
وأنت كبير هل تجهل صولة عملك ؟

إنك منفوخٌ كالدِّيك الرومىّ
وأرضُ المكتب لامعــةٌ
(والأرض الملعــونة تختلط بــروث الحيوانات ،
وأمُّك تبصقُ بجـوار الفـــرن .
وجــدران البيت الكالحــة تثرثــر ...
أنت تجادل فــلاّحى الحقــل الخبثاء.. وتزجرهم

دقّ الجــرس طــويلاً فى الــرُّدهــةِ
ـ احضــرْ كـــوب عصيــر يارمضان
الجــوُّ القــائظ يفتك بى
هــأنــذا أفتــح صــدري
للنسمــات القادمة من البــرّ الآخــر
لا أقــدر أن أتنفّس فـــى حضرتكمْ

العَــرَق اللّــزج بصــدرى .

الفلاحـون الخبثاء الجهـلاء

أراهم فى ثرثرة فارغة تحجبُ سَمَرَ الرؤيـةِ

هـل تتركهـمْ ؟

أنت الآن خلعت جـذورك ، من تربتهـم

لا بـأس ، تكلّمْ فى الـوارد .

والصـادرِ .

والاسعـار ،

وآخـر إقفـال الأسواق

وثـرثـرْ معهـم

٢ – من دفتر قديم :

لو أملك يا ملكة أحـلامى كـلّ كنوز الـدنيا

لجعلـت النهـر المخصِب ملكَ يمينك

تغتسلين . .

وتمتشقين السيف

وتنتفضين
وأركض بين يديك

يا أجمل وجه في عالمنا .
أنت تفيضين كنهر من أنهار الجنّةِ
صوتُك ناىٌ يسعدنى
ما أعذبَ شعر الحبٍّ
أراه وليداً أخضر فى شفتيك

ها نحن سئمنا الحربَ
سئمنا نشراتِ الأَخبار
وسأمٌ .. سأمٌ ..
كلٌّ الأَشياء سأمْ

هأنذا أفقد وجهى فى اللحظات الأُولى من كل صباح

أحضِر أوراق

أبحث فيها - بين سطوري-

عن وجهي

لا أجد الوجهَ الريفيَّ الطيب

لكنّى أبصر وجهاً فظّاً وقبيحا

أذكرهُ ،

لم أبصرهُ من قبل

وجه الثور الهائج فى حانة بلُّور

أبحث ، أهرب من ذاتى

أبحث عن جذرى

أبحث عن إشراقة وجه الأُم المكدودةِ

كلّ الكلمات المصبوغة بالألوان البراقةِ

فاسدةٌ مسمومة

سُدَّت كلٌ خلايا جسدى

٣ ـ الرحلة الى ظل جدار مائل :

ـ أنت الآن كملك مخلوع .. نزعوا من فوق الرأس التاج

ـ أمك راقدة بجوار الفرن ، تراها تبصق ، تلهث تبلع ريقا يحوى آثار البلغم ، رأسك معصوب بالمنديل الليلى ، وتحلم بالفجر القادم ، والأبواب العشرة دون رتاج

ـ هذى سنةُ الحزنِ ـ أقولُ لأمىّ ـ فالأيام ضنينهُ

ـ أنتِ سكتٌ وقلتِ كثيراً لليل شكاتك .

لا بأس فقولى يا أمّى فالنفس سجينهُ .

هأنذا أرحل فيك إلى يوم البعث

فانتظرينى يا أمّى ..

لفينى فى طيّات ثيابك . .

قولى : كان بسيطاً مهذاراً

كان يحب الخلاّن

كان يحسب العظمة والسلطان

فليرحمه الرحمن .

*

شهقت أمك ، فاضت روح المؤمنة ، وأنت وحيد

اخلع نعليك ، توضأ

« هذا باب المسجد »

وقفوا فى صفين طويلين

صلوا ، والبعض يبسمل ، ويحوقل

– كانت سيدة طيبة

– لم تنجب أحداً

– لا يا شيخ

– تركت خمسة أولاد

– ما فائدة الخمسة ؟

– قد تركوها فى الشيخوخة !

*

أخفى دمع العينْ

حاول أن يتذكّر يوماً من أيام المسكينة

لم يفلح

أسند رأساً محموماً لجدارٍ مائلْ

وانفض النّاس

ـ ماذا يحدث قدّامى الآن ؟

« أمطارٌ .. ورعود »

« وسحابات حبلى فوق الرأس »

ـ منذ نشأت

لم أشهد أمطاراً تسقط

فى صحراء النفس

*

٤ ـ ملاحظة ختامية :

لم يشهد بدراً ، أحداً ، أو حرب التحرير

يعرفُ أنّ الليل ضرير

سند الرأس لظـلٍ جــدار مـــائــل
سقط، صريعــاً مثل بعيــــرْ

١٩٧٨/٣/٢٣

الباحث عن النور

« أبو ذر الغفارى »

(مسرحية قصيرة)

شخصيات المسرحية :

جندب : أبو ذر

أنيس : شقيق أبى ذر

الراهب

ورقة بن نوفل

المرأة : أم أبى ذر

- ١ -

« فى صحراء - وأمام خيمة - على البعد دير

أنيس : ها نحن أخيراً بعد ثلاث ليال

تصـل القـافلـة إلى الشام

« لرفقـائه »

أذركم بعض الوقـت

وسأسأل عـن شخص فى هـذا الـدَّيْـر

فقـد يكشف لى عـن سرّ تتمخّضـه الأَيامّ

« يطـرق بـاب الـدير »

صوت : « مـن داخـل الدير »

من يطرق فى هـذا الوقت من الليل . . .

علينا بـابَ الـدَّير ؟

أنيس : أنيْس

الصوت : مَـنْ ؟

أنيس : رجـلٌ من عـرب « غِفـار »

الصوت : أهـلاً « بعـد فترة »

ماذا تقصـد فى هـذى الساعـة ؟

« يفتح الباب »

أنيس : إنى أحمل لكمو ما أعطته الصحراء

من صوف وشعيرْ

الراهب : وسأعطيك من الخمر

ما يبعث فى أوصال أنيسٍ بعض الدفء

أنيس : شكراً لك (فترة صمت)

الراهب : لكنى لسم أسألك

عمّا فعل القحط بعرب غفار

أنيس : شكراً لمناه

قد أعطتنا بعد الجدب الأمطار

ظلت تهطل خمسة أيام

حتى نبت الزرع

وأعطت جنّاتُ القوم الإثمار

لكنّى فى يوم القحط فقدتُ أبا ذر

الراهب : ماذا ؟

أنيس : فى تلك الليلة

« يضاء الجانب الأيسر ، ويظهر منه أنيس مع اخيه جندب » .

أنيس : جنــدب أصح

هيــا معنــا

أبو ذر : أنت أنيْسُ تعــذّبني

لا أقــدر أن أغفــوَ أبداً

دعني أتمتعْ بالنــوم

فلقد قطــع صياحُك عنّي الحُلــمْ

أنيس : تحلــم ؟ في زمــن الجــدب؟

ماذا تحلــم ؟

أبو ذر : أحلــمُ أنّــي أركب فــرساً أشقر

أنيس : « يقاطعه » ونقاتل قــافلة القوم

تسلبهــم مــا معهــم

كــي تعطيها للفقــراء

أبو ذر : لا

بل أحلم أنى أركب فرساً أشقر

وأجوبُ بلاداً مجهولة

أبصرُ شخصاً « ربعةْ »

يُشرقُ وجهُه

بالطّيبة والحبّ

وأرى أن القوم يريدون الشر

بالرّجل الطيّب

وأرانى أخرج سيفى من غمده

وهنا

أفسدت علىّ الحُلمْ

أنيْس : هذا هذيان

من جرّاء الجوع

« فترة صمت »

والآن

هيا هيا

أبو ذر : « كـأنه لـم يسمع »

إنك لم تشرح لى معنى الفـرس الأشقر

والرجـل الطيب

إنك أحيانا تكشف لى عن مكنون الأحلام

أنيس : لم تترك أيامُ الجدب لعقلى شيئا

ليفُكَّ طلاسم حلمك

لكنّى أعدك

أن أكشف بعض رموزه

بعد العودة

أبو ذر : « يقوم ويحمل فى يده ابريقا ، وينادى أنيسا »

تعال أنيْسُ

صب الماء علىّ

حتّى أغسل وجهى ويدىّ

« بعد أن يغسل وجهه ويديه »

لكنّك لم تخبرنى بعد

لِمَ أزعجت أخاك أبا ذر

أنيس : إن القوم يزورون « مناه »

ويصلُّون لها

فمساها ترضى عنّا

وتصبّ الأمطارَ علينا صبّاً

بعد الجدب

أبو ذر : أصدقُك القول . . .

بأنى لا أثقُ بشىء من هذا

أنيس : هل أنت صبأْت ؟

أبو ذر : لم أصبا

لكنّى أتلمّس ضوء الحق

أبحث عنه

أنيس : « قلقا » : ومناةْ ؟

أبو ذر : لا تكفينى

لا تشبعنى

أثــقُ يقينا أنّ هنــاك آلهـــاً

أقــوى مــن كــلّ الأصنـــام

قــد خلــق الجسـد الفــائر

من أعطــانى العينيــنْ

ولسانــاً أنطــقُ بـــه

من أعطـــانى الأذنيــنْ

مـــن بَسَطــ الأرض

مـــن بعث الشمس ضيــاء

إنى أثـــق يقينا

أن هنــاك الـهـاً

أقــوى من معبودتــك « مناه »

فهــو الخــالــق والقــادر

لكنّــى لا أدرى كنهــه

« يتوقـــف »

ألهمْنـــى يارب

إنّـي يتأصلى الك

أنيس : (مأخوذا) : ستصلى يا جندب ؟

أبو ذر : لِلّــه أصلّـــــى

أنيس : أىّ إلٓه ؟

إن صلاتك لا تقبل إلا عنـد « مناه »

أبو ذر : لـن أعبد بعـد اليوم « مناه »

أنيس : إن القـوم جميعـاً ذهبـوا

وتخلّفنـــا

وتـريـد الآن

أن تجلب غضب « مناة » علينا

« يسجـد أنيس أمـام حجـر »

غفـرانَكِ .. غفـرانَكِ

أبو ذر : أتصلّى قـدّام حجـر ؟

أنيس : هـذا ربّـــى

أبو ذر : « ضاحكـا »

إنك بالأمس وجدت الحجرَ . الرَّبَّ هنا
ملقى خلف بيوت « غفار »
أحضرتَه
نظّفتَه
والآن
تسجدُ له
ما أعجب هذا الإنسان

أنيس : إني أرجو أن ترجع ياجندب
عن غيِّك .. حتى لا تغضب منا الخالقة « مناة »
وتعذّبنا
من جرَّاء صنيعك

أبو ذر : هل خلقتنا الخالقة « مناة » ؟
أم نحن خلقناها ؟
وعبدناها ؟
هل تعرف ماذا تشبه ربتك « مناه » ؟

تشبه هذا الحجر الملقى بين يديك

لا تقدر أن تفعل شيئا

أنيس : في فزع »

يا جندب لا تجلب غضب الآلهة علينا

فأنا أعرف أن الحجرَ الملقى قدّامي

لم يخلقنا

لكنّي أعبده الآن كرمز

لمناة ، أو نائلة ، وأسافْ

أبو ذر : « يقهقه »

هل تعرف قصة نائلة وأساف ؟

أنيس : لا أعرف إلاّ أنهما معبودان

أبو ذر : كانت نائلةٌ وأساف

يعشق أحدهما الآخر

جاءا للحجّ فوجد « أسافُ » الفرصة

فجرَ بربّتك الميمونة في الكعبة

ضاجعهـــا

« ينظـــر إلى السماء »

مسخهمـــا الله القادر كى يتعظ النّــــاس

وجئت لتعبدهـــا مع أمثـــالك

تباً لـــك .

أنيس : مـــاذا تهـذى يـــا جندب

استغفـــر ربّك عساهـــا تغفـــر لـــك

أبو ذر : « فى ثورة » لـــن أطلـــب غفـــران « مناة »

فلتنزل لعنتهـــا حين تشاء

أنيس : أفهـــم من هـــذا أنّك لـــن تـــأتى معنا

لتصلّـــى ، فتسوق « مناة » إلينا الأمطـــار

أبو ذر : لـــن أذهـــب معكم ، فاذهب أنت

« بعـــد أن هـــمّ أنيس بالخروج برجع قلقا »

أنيس : جنـــدب !

إنى أخشى أن تجهـــر بالـــرأى

أبو ذر : « ضاحكا » ماذا يحدث ؟

هل تنقلب الدنيا ؟

هل نصبح أفقر مما أصبحنا ؟

قل لى

لا تتلعثم

إنى أصغى لك

أنيس : لا يا جندب

لن نصبح أفقر مما أصبحنا

لكن القوم

سيقولون :

« جندب » سبب النقمة

جلب علينا غضب « مناة »

أبو ذر : ثق من أنى لن أتكلم

« تدخل امرأة . يلمحها أبو ذر وهى داخلة »

طبت صباحاً يا أماه

المرأة : طاب صباحك ياجندب

فيمَ .. تتحدث ؟

قد بلغ القومُ « مناة » وأنتَ هنا ؟

هيا ياولدى

خذ معك أخاك

والْحَقْ جَمْع غفار

وتضرَّع للخالقة « مناه »

كى تُذهب عنّا هذا الجدْب

وتسوق إلينا الأمطار

أبو ذر : إنى لن أقدر أن أذهب

الأم : هل أنت مريضٌ يا ولدى ؟

هل أبعث للعرّاف

أبو ذر : لا يا أمّى

« يضاء المنظر فى الجانب الأيمن »

أنيس : « مستمرا » : وذهبْنا لمناه

ورجَونا منها العفو

وذبحنا الجزُر إليها قربانا

الرّاهب : ماذا فعلت معكم ؟

أنيس : لم تفعل شيئاً

إنا قصّرْنا في حق المعبودة سبع سنين

وهجرناها

ولذا ، لم تمنحنا الأمطار

الراهب : لا يعطى حجرٌ شيئاً ياولدى

فالله ، تبارك في مجده

قد سَخِط عليكم

حين نحرْتم ماشيةً قربانا

قدّام صنمْ

أنيس : لكن « مناة »

كمْ منحتْنا من قبْل الأمطار

الراهب : لم تمنحكم شيئا

فالله هـو المانح والمانع

و « منذاه »

لا تقـدر أن تفعـل شيئا

« يدخل ورقـة ومعه رجـلٌ يصحبه »

ورقـة : طبت مساء يا أبتـاه

أضناني السفـرُ .. وأضنتني الأيـام

الراهب : هـل جئت إلينا الآن

مـن مكـة ؟

أنيس : « يحـدث نفسه »

هـل هـذا ورقـة ؟

كـم أضنته الأيـام

لكنيّ أكرهـه

قـد صبا عن الدين المتـوارث

وتنصّـر

الراهب : أضناك السفـرُ .. تعبت كثيراً ياورقـة

ماذا تفعل فى هذى الأيام

البرد شديد فى هذا الليل

هل آتيك بكأس

تدفع فى أوصالك بعض الدفء ؟

ورقة : لا أحتاج

هذى حبات العرق على وجهى

فأنا لم أجلس بعد

« يدفع كرسيا له ليجلس عليه »

الراهب : اجلس يا ورقة

ما خلفك ؟

ورقة : خبرٌ أعرف أنك تنتظره

الراهب : هل أشرق فى مكة فجر محمد ؟

ورقة : هو ذا

الراهب : قلْ إنّى متشوق

ورقة : من عشر ليال

جـاءت لى ابنةُ عمـى

تلك خـديجة بنت خـويلد

زوج محمـد

وحكـت لى أمـراً عجبا

قـالت لى :

إن الزوج القـانت

يتعبّدُ فى غار حـراء على دين خليل الرحمن ..

وذات مساء

أشرق فى الليل النورَ الغـامر

وإذا شخصٌ يظهـرُ له

فى نـورٍ غـامـرْ

ويغطّـه

حتى يبلغ منه الجهـد

ويقـول

« اقـرأ » .

الراهـب (متعجلاً) ماذا ثـمَّ ؟

ورقــة : أقــرأهُ جبريل الآيــات

وعــاد محمـــــد

يتصبّـــب عـرقــا

« فترة صمْت »

لمّــا قصّبــتهِ زوجتُه القصـــة

امتــلات روحــى بشــرا

قلــتُ لهــا : هــذا الناموس

من جــاء لموسى من قبــل

فى اليوم التالى جــاء بصحبتها

أبصــرت النــور بوجهــه

يشرقُ ، يملأُ كــلَّ الآفاق

وحكــى لى ما أبْصـــر

قلـــــت :

« أتمنى لــو أحيـــا

كى أنصــرك وأفــديك بنفســى

إذ يخرجُك القوم »

الراهب : ماذ قال ؟

ورقة : قال :

« هل يخرجني قومي ؟ »

قلت :

لم يأت رسولٌ من قبل

يحملُ مثلِ رسالتك الكبرى

إلا عُودِي

أو يدركني يومك

أنصرُك وأفديك بنفسي

أنيس : هل حقا ما أسمع ؟

الراهب : هُو ذا يا ولدي

أنيس : من أدراك ؟

الراهب : هذا آخر رسل الله إلى الأرض

« فترة صمت »

إني أعرفُه منذ ثلاثين سنه

في إحدى ساعات القيظ

وكنت أطلُّ من الشرفه

أبصرت عليه غمامهْ

تحفظه من حرّ الشمس

أحضرتُه

وكشفت ثيابه

ورأيت الخاتمَ في ظهره

ورأيت الرجل السائر في ركبه

وسألت أبا طالب ماصلتك به ؟

قال : ابني

قلت :

هذا مات أبوهُ قبل ولادته

هذي صفة نبيّ الصحراء المكتوبة في الإنجيل

فقال : صدقت

إنى عمّـــه

ورقــة : يذكــر بعض رجال القــافلة الأحياء

أنك قلــت لعمّـــه

لا تأخـــذه ثانيةً للشـــام

فبهـا بعض « يهود »

الراهب : صدقـوا ، فلقـد خفتُ عليهِ مكر « يهود »

أنيس : ماذا أسمع ؟

هــل ساقتنى الأقـــدار

كـى أسمع مايشغــل بـــالى

منذ حـديث « مناة » مع جندب

إنّى سأعــود إليه الآنْ

٢

أنيس : طاب صباحك ياجنـدب

أبو ذر : (يفـرك عينيه) هــل عـدت أنيس ؟

أنيس : عـدتُ ، وقـد أصبحـت

(يتردد ، ثم يكمل) لا أدرى كيف أقول ؟

أبو ذر : مـن أيـنْ ؟

أنيس : مـن مكـة

أبو ذر : إنى أبصـر فى وجهـك كلمـات مختنقـات
هـل تَصـدقُنى القـول ؟

أنيس : كنـت
(شارد البصـر .. يلم شتات نفسه)
عند « بحيرا » فى الشام
أبصـرتُ هنـاك
رجـلاً نصـرانيا من مكـة
يُدعى « ورقـه »
أخبرنا أن بمكة رجلاً يأتيه الوحـى
ويدعـو لإلـه واحـدْ

أبو ذر : كم أشتاق لرؤيته

أنيس : (مكملاً) : فذهبتَ إلى مكة

أبو ذر : هل أبصرتَه ؟

أنيس : كنت أسير جوار البيت

أبصرتُه

يدعو الناس لدينه

والقولُ جميلٌ . لا أذكر شيئا منه

أبو ذر : والناس .

أنيس : انفضوا من حوله .

ويقولون

ـ هذا شاعر

ـ أو ساحر

ـ أو كاهن

ـ أو مجنون

أبو ذر : (محدثا نفسه) :

هذا ما عشت حياتي أحلم به

أن يأتيَ من ينقذنا من هذا الوهم

أن يدعوَنا للدين الحق .

والـــه واحـــد

لا آلهـــة شتّى

(فترة صمت)

الآن سأحضر راحلتى

وسأتّجهُ لمكة

وسألقَى من أرسله الله نبيا

وسألقى من عشت حياتى أحلمُ به

أنيس : يدعو للاسلام

أبو ذر : الاسلام

هــذى كلمة حب معناها ...

أن أسلم وجهى لله

أنيس : (مردداً مبهوراً) أسلمُ وجهــى لله !

أبو ذر : لله الأوحـــد

لا لأساف

أو نـسـائلة

ومُنـساة

لله الأوحـد

أنيس : هل [تشتاق لان تلقاه وتسمع منه ؟]

أبو ذر : الآنْ

يتجـه أخوك إلى مكة .

يتجـه أبو ذر لله .

يترك أصنام الصحـراء !

١٩٧٧/٧/١٠

١

أغنية خضراء الى حلب

« من يوميات ابى فراس »

ـ أرسف فى قيدى فى مدن الثلج ، وقلبى عصفورٌ غرِدٌ يحلمُ بربيع الأرض ، ولا يعبأ بالطرق الضيقة الوعرة فى جبل الأصداء .

ـ أرسف فى قيدى ، والحربة تخمد فى الصدر ، ولكنّى أركب فرسى ، أخرج من أسر الذاكرة الصلبة ، أبصرنى أبنى فوق الأنقاض بلاداً تفتح حضنيها للشمس ، ويحبا فيها الأطفال جميعا سعداء

ـ يصحو الطمى ، وينتفض سياج الطين عفيا وسخيا ، هذا الوعد قديمٌ يا حلبُ الشهباءُ ،

وإني أرسمك الليلة قوساً قزحياً فـي ذاكـرتي ،
وشما نـاريّـاً في جسدي . ويحـاصـرني حبُّك .
أسقط في حلقـات الوجـد . وأعشق رنـة صوتك ،
نبضة قلبك . كيف أحوّل هذا الحب الكاسح جمـرةَ
نارٍ فتفكُّ القيد .. فـلا ينتفضُ الأطفال من الرعب
ولا تتعقّب خطـوهم الأخضر أصـداء الأشـلاء ؟

– من فـوق السور أنادي .: ياحابُ الشهباء تعـالىْ
فـالأرض الحبلى بالأحـزان مضمّخة بالقول الفجّ .
وحـانات القـردةِ ، والأطفال على الطرقات يريدون
الفجر الأخضر . يقتسمون رغيفا ملحيا ، يرسم كـلٌّ
منهم في كراسته النوريّة وشما أخضر منتطقا بالسيف
تعالىْ . صدري مفتوحٌ للحربة كي تغمد فيه ، وإنّي
عاشقُك الصادقُ في زمن الردّة . عـاشقك الحـالم
بورود بيضاء ، وشارة حـب خضراء تطرّز أوجهنا
بالظـلّ الطيّب ، في سـاعـات القيظ وطرق الأنواء .
– صوتٌ يصـرخُ فـيّ : لماذا أنتَ وحيـدٌ ؟

- أتجرّع كأس الذكرى . أحلم أن ألقى سيف الدولة
ترجع أيام البهجة ، ونزيل الشوك ، وتزهر أشجار
حدائقنا اليابسة ، وأشرب كأس النشوة حين أراهُ

- تدور الأرض وأنت وحيد : أنت بعيد

- فوق خيول الضوء يعود حبيبي (سيفُ الدولة
يرجع لى ذات مساء بزهور الفل ، ويشعل قنديلى
أشدو باللحن الطيب والنغم الخالد .. أنشر حبّى)
أشرعة بيضا فوق شطوط الحلم

الطائر يقفز فوق الأشلاء ، ويحمل فى الليل
النار .. ويرمينا بالجمر الحارق كى يوقظَنا ، كى نخلع
عن أعيننا أثر الإعياء .

- تمتلىء الأيام خواء يرعبنى ، أبذر حلمى فى الأرض
وأغفو ، ينغرس السكين بأحشائى والداء عضالٌ ،
تسرى فىّ الأشواقُ الخضراء لحلب الشهباء . فأحملها
فى العين وأتلو « آيات الأنفال » ، فبعدك (ياسيف
الدولة) لم أهنا بالعيش ، فكم كنت تحيط حياتى بالدائرة
الضوئية ، إنى لم أشرب غير الطهر ، ولم أتذوّق

فى أنخاب العشاق ترانيل العهر ، ولم أسمع إيقاعات
الزيف ، تعالوْا يا أحبابى الفرسانُ ، فهــذا صاحبكم
فى الليل أسيرٌ فى قبضـــة أعداء الوطن (فمن ينقذنى
من هــذا الليل الجاثم ؟ من يستقبل فجــراً أرقبه ؟
من يبصرنى أتحسس خطوى) أرجع من قبض الثلج
وغبش ضباب الروح ، وقلبى أزهــار متفتحه للحب
وأرجع مقـــرور القلـــب :

– وياليتك لــم ترجــع
– فالصحب تولــوا
– لــم تبسم أوجههم بالحب
– .. وإنى أبصرهم تحــت جناح الليل ينامون
– .. ويحلم فارسهم بامرأة بيضاء و ...

هذا طائرك العائد لا يعبأ بالقول الفاجر ، يرحل فى مدن
الحلم ، ولا يفزع من أشلاء الروح ، ويرحل فى أمسية
الرعب مشاعل نور ، هذا فارسك الطيب يرحل ، يرجع
فى شريانك وردة نارٍ ، أحملك بقلبى ، أمتزج بذراتك

أرقب موسيقاك العلوية تأسر روحى . تطاقنى عصفوراً غردا يحلم بالخضرة فى زمن الجدب ، ويحلم فى الليل الدامس بالأضواء ..

ـ أحلمُ (يا شمس الدولة) أن تسكن أشواقى فى حضنيك ، وأن تأتى ذات صباح بين جناحيك الشمس فتغرس فى صحراء النفس القلقة . نوراً تملأ دنيانا عطراً (هل يصدق حدسى ؟ تأتينى شمسك .. أرحل فى طرق الدهشة .. تمسح عيناك الحزن عن الجسد المغبرّ وتطفئ نيران الجسد المتعب ؟) يا محبوبى ياسيف الدولة ، قتلتنى أيام القلق المرعب إذ أبصرك سحابا تسمو حتى تهمى فى أرض الله الشاسعة وتتركنى فى القيظ الحارق (هل يأتينى قطرُك ؟ هل أعبر طرق الليل المملوءة بالخوف ، فلم تجهضنى الأيامُ السودُ ... ولم يأسر ذاكرتى عهرُ الأيام .. وهذا سيف الدولة ضمخنى بالعطر الطيب .. نزّ الجرح ، بكيت . وقلت : أخيراً يا سيف الدولة تأتينى فى السَّحَر ؟) وهذا الليل كئيبٌ ، هذا البلدُ الرومىُّ الميتُ ينفثُ فىَّ الرُّعبَ ـ

السُّلّ . فأجفل . أنشبُ ظفرى فى الباب الخشبيّ الوحيد
(هل يُفتح يوماً ؟) . ظلَّ الصدرُ الميِّتُ يتعقبنى .
أقعيت على الأرض وسال دمى أنهاراً ، ياأحبابى : أين
ذهبتم ؟ قد طفح الكيل ..وهذى نـارٌ تشتعل بجرن القمح
فهيا .. فلنطفئْ هذى النيران . تعالوْا .من يرجع
فى الفجر شعاعاً ... يُلقى فوق جراحى باقة أشعـار
بيضاء ؟

١٩٨٠/٦/٤

مواجهة متاخرة

- ١ -

- عرفتك فى أول العمر دفقة حبٍّ ،

وعاصفةً من جنانٍ

تهزُّ كياني فتبعث فيَّ الربيع

تلملم هذا الحطام

وتصنع منّى إرادة روح

تقادمُ وهم السقوطْ

- عرفتك نبضا يقاوم هذا الهجير

ببسمة خصب تمازج روحك

حين تفيضُ على الكون خمراً وظلاً

وتجتازُ حائطَ رهم

بناهُ القنوطْ

- أتيتك هذا الصباح كسير الجناح

أدمدم غيظاً

وأرفع صوتى

وعيناى زائغتان

فأين أراك ؟ ؟

ذهبت إلى كل ركن جلسنا بجانبه

فى زمان الضغوطْ

٢

- فأين ذهبت إذنْ ياحبيبة قلبى ؟

فإنى كسير الجناحْ

- أضيءُ المشاعل عند قدوم المساء

أحملق فى كلّ شيء بموتٍ

وأحلم .

يولـدُ نبض الربيع .

ويخفـق ثانية رغم هـذا المسـاء

الصبـاح

١٩٨٠/٣/١٠

آخر ظلال التكوين

– ١ –

– فرغ العاشق من تكوين اللوحة فى زمن الجدب ، تصايح
بالفرح الصاهل . ألقانى من نافذة السُّخط إلى جنات
النار . ذهلت لبعض الوقت ، سألت الجالس قدامى
فى ثوب الدهشة – ملكاً كان – أتعرف ماذا يصهل فى
أعماق النار ؟ وماذا يركض فى أجواف الأفراس
الخارجة مساء من معركة النَّرْدِ؟فنظرَ إلىّ بعينى
ذئبٍ – كان جنينُ اللغة الأرعن لم يتشكَّلْ – أخرج
من نيرانك عريانا . أمرح فى أفاق الفردوس . وأضع
على العورة ورقة توت . تأتى «فاطمة» فيصهل فرسى
فى البرية . يأكل من هذا العشب . ويشرب من ماء

الأنهار العذب (يقولون تحدر من ساق العرش الممدود على قنطرة الدلتا) ، أستقبل بالصدر المشتاق النسمات المنعشة المبهجة ، وأبحث عن سكنى ،عن نصفى الضائع منّى . أسأل مولاى القادر أن يمنحنى دفء الوعد فلا تحتضن الأرض الأشواك .

- فى هذا اليوم القائظ ، أخذ القادر ضلعاً منى ، علّقهُ خلف الأسوار ، وسوّاه ، ونفخ ، رأيت امرأةً فاتنةً تخرجُ من ضلعى الأيسر ، تأسرنى والوجه ينير الجنّة من حولى ، والشعر الفحمىُّ يغطّى الفخذيْن وأسألُ ربى : (لِم تخلق فينا النشوة بالشهوة. فدمائى تتدفق ، جسدى عاصفةٌ ، وأنا أشتاق لوجه حبيبى (كيف أراك ؟)

٢

- ذا وجه حبيبى (هل أدفنه فى صدرى أم تكشف أمرى ؟)

- .. واليوم الآتى يمضى للخاتمة المرسومة ، وأنا فى

اللوح أحمحم ، أرقب فى بلهٍ ظلِّى ، تخرجُ من
حنجرتى (فاتنةً) لا تسكن فى القلب العاشق
بل تسرق كل جواهرِ شعرى
تفضحنى قدّام الخلق وتجرى

١٩٨١/٢/١٦

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ٤٤٧٣/١٩٨٥

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٦٦٩ - ٠